الآراء الفلسفية للمحققين ملا صدرا والخفري حول أركان الحكمة المتعالية

- دراسة مقارنة -

د. غلامرضا بنان
استاذ مساعد و عضو الطاقم الأكاديمي بجامعة الجهرم الحكومية
banan.gholamreza@yahoo.com

The Philosophical Views of the Investigators Mulla Sadra and Khafri on the Pillars of Transcendental Wisdom - A Comparative Study

Dr. Gholamreza Banan
Assistant Professor , Faculty Member , University of Jahrom , Iran

الملخص:-

يُـــذكر في الأوســـاط العلميـــة الملاصـدرا باعتبـاره مؤسـس الحكمـة المتعالية، تعتبر أصالة الوجود و وحدة الوجــود الشخصــية ركــائز أساســية للحكمة المتعالية. أعرب المفكر المجهول مـن القـرن العاشـر محقـق خفـاري عـن مناقشات حول أصالة الوجود و وحدة الوجـود الشخصـية في آثـاره المختلفـة، وفي هذا المقال جرت محاولة لمقارنة هذه الأفكار بآراء الملا صدرا ومدى تأثير خفـري علـى المـلا صـدرا في تأسـيس الحكمة المتعالية.

الكلمـات المفتاحيـة: محقـق الخفـري، الملاصـدرا، أصـالة الوجـود، وحـدة الوجود الشخصية، الحكمة المتعالية

Abstract:-

Mullah Sadra is considered in scholarly circles to be the founder of transcendental wisdom. The originality of being and personal unity of being are considered fundamental pillars of transcendental wisdom. The anonymous tenth-century thinker Muhaqqiq Khavari expressed discussions of the originality of being and personal unity of being in his various works. This article attempts to compare these ideas with Mulla Sadra's views and the extent of Khavari's influence on Mulla Sadra in establishing transcendental wisdom.

Key words: Muhaqqiq Khavari, Mulla Sadra, originality of being, personal unity of being, transcendental wisdom.

مقدمة:

تعتبر حكمة الملاصدرا المتعالية هي الحركة الفلسفية السائدة في القرن الحادي عشر و ما بعده في إيران، بحيث أن معظم المفكرين من بعده، الذين ألهموا أعماله و تأثروا بها، قاموا بشرح أو تفصيل محتويات الحكمة المتعالية. أن عدداً أقلّ من المفكرين الذين بحثوا في أصول الملاصدرا و فعاليته مقارنة بالحكماء الذين سبقوه، حتى أن البعض يعتبر أن أفكار الملا صدرا الفلسفية الخالصة مبنية على حدسه الباطني واكتشافه دون وعي، وتكسر مجال البحث وتحرم الجمهور من الإذن بالدخول والبحث في هذا الوادي، بالإضافة إلى ذلك، فإنهم لا يلتفتون إلى حكماء الحكمة الفارسية، أي المفكرين من القرن السادس إلى القرن العاشر، الذين تكون كتبهم في الغالب على شكل مخطوطات في زوايا المكتبات. وقد تم التخلي عنه وأصبح سببا في هذا الأمر، ولعل عدم الاهتمام بهذا الأمر له جذوره في البحث السابق وفي هذا الفصل، باستثناء بعض المقالات التي هي مجرد تعبيرات تاريخية للحكماء و ظروفها وأعمالها يحاول المؤلف أن يدرس مختلف أعمال محقق الخفري كمفكر مشهور في القرن العاشر ومجهول في العصر الحالي ومقتطفات من مدرسة فارس الفلسفية وآرائه حول أصالة الوجود و وحدة الوجود الشخصية ومقارنتها بأفكار الملا صدرا الشيرازي، في هذه الفصول، ندرس درجة القواسم المشتركة والاختلاف بين الملا صدرا وتأثير محقق خفري.

مع الأخذ في الاعتبار أن نمو وتميز الحكمة الإسلامية من فلسفة ماشا إلى الحكمة المتعالية يعتمد على جهود المفكرين ومع الأخذ في الاعتبار أن غالبية أعمال الحكماء قبل الملا صدرا، أي حكماء المدرسة الفارسية، وهي في شكل مخطوطة وبعيدة عن متناول الباحثين، لذلك لم يتم إجراء بحث تفصيلي في هذا الصدد، أو إذا تم ذلك فهي مجرد معلومات عامة وإلى حد التعريف بالحكماء أمام الملا صدرا. غالبًا ما تكون غير دقيقة، ولذلك فإن أهمية هذا البحث الذي يقوم على تصحيح بعض المصنفات غير المصححة، والرجوع أيضًا إلى مخطوطات هؤلاء المفكرين لن تخفى على الباحثين.

في هذا البحث، ومن أجل شرح وتطويع ومقارنة آراء محقق خفري وملا صدرا، نتناول أولا المسألة الأساسية المتمثلة في أصالة الوجود، ثم مسألة وحدة الوجود الشخصية من وجهة نظر هذين المفكرين.

١. أصالة الوجود

يقدم محقق خفري العديد من الحجج لإثبات وجود الأصالة، ولكن في هذا المقال نقدم ونفحص اثنتين من حججه.

١.١. الوجود، سبب خلق الأشياء

يقول محقق خفري: الوجود هو الشيء الذي يجعل الأشياء موجودة«انّ الوجودَ بالحقيقةِ هُو مايصيرُ الأشياءَ موجودةً» (٣،ص٢٧)

أصول حجة خفري هي كما يلي:

المقدمة الأولى: جميع الأشياء والماهيات ليست موجودة و لا معدومة قبل أن يكون لها الوجود، ولكن علاقتها بالوجود والعدم واحدة، و بما أن التفضيل مستحيل بدون تفضيل، فلا يمكن ترك خط الاستواء دون تفضيل خارجي.

المقدمة الثانية: هذه الأشياء و الماهيات التي لها علاقة واحدة بالوجود و العدم تظهر عندما ينسب إليها الوجود كأولوية خارجية.

والحاصل: أن الذي هو مصدر الأثر ويوصل الأشياء إلى مرحلة الوجود ليس إلا الوجود، فالأثر وتحقيقه سببه الوجود، أو بمعنى آخر الأصالة مع الوجود. وهذا الوجود الحقيقي و الخارجي هو مصداق لمفهوم الوجود المجرد.

ويستخدم الملاصدرا نفس الحجة في العديد من مؤلفاته لإثبات صحة الوجود، فمثلاً في كتاب المشاعر يقول: «إنّ حقيقة كلّ شيء هو وجوده الذى يترتّب به عليه آثاره و أحكامه. فالوجود إذن أحقّ الأشياء بأن يكون ذا حقيقة اذ غيره به يصير ذا حقيقة، فهو حقيقة كلّ ذى حقيقة». (١٢، ص ١٠).

٢.١. حجة الخفري الثانية في أصالة الوجود من خلال الفرق بين المفهوم الأول والشائع:

يقول خفري إن هناك فرقا بين قضية الإنسان إنسانا وقضية الإنسان موجودا، واشتراط الجملة الثانية أن هناك شيئا ما وراء الإنسانية وأنه متحقق خارجا«لاخفاء في تحقّق الفرق بين

مصداق القول بأنّ الانسان انسان و مصداق القول بأنّ الانسان موجود في الخارج و لزم من ذلك أن يعتبر في القول الثاني أمر وراء الإنسانية و أن يتحقق ذلك الأمر في الخارج»(٣، ص٢٧).

أي أنه إذا كانت أصالة الماهوي تقول إن ما هو حقيقي وأصيل في الخارج هو الماهية، فلا ينبغي أن يكون هناك فرق بين القضية الأول (الإنسان إنسان) والقضية الثاني (الإنسان موجود)، بينما نحن نفهم بوعي هذا الاختلاف، فإن معنى القضية الأولى أن كل شيء هو نفسه من حيث المعنى و المفهوم، أو بحسب تفسير الملاصدرا هو نفسه (١٢، ص١٣). أما في القضية الثانية فإن قصد المتكلم يختلف عن القضية الأولى، و هنا يتجاوز معنى القضية الأولى، ويضاف إلى ذلك أنه يحاول أن يعبر عن شيء آخر، و هو خبر الإدراك الموضوعي للأمر في الخارج، فنفهم بضميرنا أن معنى الموضوع و المحمول مختلفان.

كما أن مضمون و معنى الحمل يعني الاتحاد بين مفهومين مختلفين متحدين من حيث المصداق، أي أننا في الحمل نحتاج إلى اتجاه التباين واتجاه القواسم المشتركة، الآن إذا كان اتجاه تباينا هو الفضل، حملنا هو أيضًا حمل ائتماني أو حمل ذاتي أولي سيكون، لكن إذا كان اتجاه التغيير حقيقيًا، فإن نقلنا سيكون أيضًا حملاً حقيقيًا، و وفقًا للملاصدرا، سيكون حملاً شايعاً صناعيًا (١٢، ص ١٣).

شكل الحجة أعلاه هو كما يلي:

المقدمة الأولى: إذا لم يكن الوجود أصيلاً، أي إذا لم يكن للوجود مصداق حقيقي خارجي و عيني، فلن تكون لدينا حمل شايع صناعي.

المقدمة الثانية: لدينا حمل شايع صناعي.

النتيجة: الوجود أصيل و محقق في الخارج.

و يعبر الملاصدرا عن نفس الحجة في كتاب مشاعر على النحو التالي:

انه لو كانت موجوديّة الأشياء بنفس ماهيّاتها لا بأمر آخر، لامتنع حمل بعضها على بعض، و الحكم بشيء منها على شيء كقولنا زيد حيوان و الانسان ماش، لأنّ مفاد الحمل و مصداقه هو الاتّحاد بين مفهومين متغايرين فى الوجود؛ و كذا الحكم بشيء على شيء

عبارة عن اتّحادهما وجودا و تغايرهما مفهوما و ماهيّة، و ما به المغايرة غير ما به الاتّحاد. وإلى هذا يرجع ما قيل انّ الحمل يقتضى الاتّحاد فى الخارج و المغايرة فى الذهن. فلو لم يكن الوجود شيئا غير الماهيّة، لم تكن جهة الاتّحاد مخالفة لجهة المغايرة. و اللازم باطل كما مرّ، فالملزوم مثله. بيان الملازمة انّ صحّة الحمل مبناه على وحدة مّا و تغاير مّا، اذ لو كان هناك وحدة محضة، لم يكن حمل؛ و لو كان كثرة محضة، لم يكن حمل. فلو كان الوجود أمرا انتزاعيّا، يكون وحدته و تعدّده تابعين لوحدة ما اضيف اليه و تعدّده من المعانى و الماهيّات.و إذا كان كذلك، لم يتحقّق حمل متعارف بين الاشياء سوى الحمل الاوّلىّ الذاتىّ، فكان الحمل منحصرا فى الحمل الذاتىّ الذى مبناه الاتّحاد بحسب المعنى. (١٢،ص١٣)

وكما هو واضح، فإن حجة الملاصدرا هذه تعبر تمامًا عن نفس الموضوع و المضمون الذي عبر عنه محقق خفري في حجته، والفرق الوحيد بين الحجج هو أن الملاصدرا يعبر عن حجته بطريقة موسعة و مفصلة بينما كتب محقق خفري و ذلك بطريقة مختصرة والسبب في ذلك ليس سوى اختلاف الطريقة، لأن هدف محقق خفري هو كتابة الملاحظات وإبداء آرائه في شرح التجريدالعقائد، على عكس الملاصدرا الذي يسعى لكتابة ملاحظة كتاب مستقل، والفرق بين كتابة الهامش والكتاب ليس سرا على الخبير. وفي هذا الوقت يرى العديد من الباحثين المعاصرين مثل آية الله السبحاني وغيره أن السيد الملاصدرا هو أول من عبر عن هذا المبدأ الفلسفي المهم. (٧، ص٣٧. ١٥، ص٢٨٩. ٩، ص٣٧. ١٠، ص٥١).

٢. تأثير الملاصدرا من محقق خفري في موضوع وحدة الوجود الشخصية:

يستخدم خفري حجتين لإثبات وحدة الوجود الشخصية، الحجة الأولى من خلال تحليل العلاقة بين العلة والمعلول، والحجة الثانية من خلال تحليل وحدة المفهوم المجرد للوجود، في هذه المقالة، يتم فحص الاستدلال الأولى فقط.

١.٢. حجة الخفري على وحدة الوجود من خلال تحليل العلاقة بين العلة والمعلول

ويرى خفري أن العقل عندما يتأمل و يتأمل الإمكانيات من حيث معلوليتها، فإنّه يرى وجود المعلول و ذاته كوجود الفاعل المستقل في التأثير«فإنّ العقل إذا تأمّل في الممكنات الّتي لايكون إلّا معلوله وجد إنّ وجود المعلول و ذاته إنّما هو وجود الفاعل المستقل بالتأثير»

(٣، ص:٥٢س). «و كما انّ الوجود الحقيقي واحد باعتبار ذاته وهو الموجِد فكذلك الذات الحقيقي واحد و هو المدوِّن للممكنات فيكون ذات جميع الممكنات واحدا». (٣، ص:٥٢).

وصيغة هذه الحجة هي كما يلي:

المقدمة الأولى: وجود المعلول هو نفس وجود العلّة.

المقدمة الثانية: وجود العلة واحد.

النتيجة: وجود المعلول واحد.

و يستخدم خفري في شرح المقدمة الأولى، حقيقة أن وجود الأثر والمعلول متعلق بوجود العلة أي عين الربط بوجود العلة، فيقول: «وذاته بل وجوده الّذي هو به موجود ليس الا الارتباط بالوجود الحقيقي» (٢، ص:٥٢) المعلولات دون الإرتباط مع ذات الفاعل، ذلك الذات التي هي الوجود الحقيقي القائم بذاته، فهي معدومة وليس لها وجود. وبدون الارتباط بذات الوجود الحقيقي الذي هو الواجب بالذات، لا نجد لهم ذاتاً. وهنا يقضي العقل بأن جميع الممكنات دون صحة ارتباطها بواجب الوجود هي في حالة العدم المحض ولا يمكن تصور أي نوع من الذات بالنسبة لها.

«فالمعلولات بدون ارتباطها إلى فاعلها الّذي هو الوجود الحقيقي القائم بذاته لاشيء محض و لا تحقق لها اصلا فلم نجد لها ذوات بدون ارتباطها إلى الذات الّذي هو الوجود الحقيقي الواجب بذاته فيحكم العقل بانّ جميع الممكنات بدون اعتبار ارتباطه بواجب الوجود في حيز العدم و لاشيء محض و لا ذات له اصلا» (٣، ص:٥٢) ثم يقول: «فانّ ما ليس له ذات الا باعتبار الغير فليس ذاتا» (٣، ص:٥٢) «فان معنى الذات ليس الا ماله قوام بلا اعتبار الغير فليس في الممكنات الصرفة ذات بالحقيقة اصلا». (٣، ص:٥٢) يقول محقق الخفري أن الممكنات لا توجد في ذاتها دون الارتباط بواجب الوجود، بل وجودهم و ثبوتهم هو نفس الارتباط بواجب الوجود، و وجودهم و ثبوتهم لغيره و وجودهم بعينه نفس وجودهم لغيره. ووجودهم من الله تعالى هو بالضبط نفس ارتباطهم بالواجب تعالى.

«فليس للممكنات وجود في نفسها بدون الارتباط بواجب الوجود بل وجودها وثبوتها

انما هو ارتباطها بواجب الوجود فلها وجود و ثبوت للغير و وجود نفسها بعينه هو وجودها لغيرها... فيكون وجودها منه تعالى بعينه هو الارتباط به تعالى » (٥، ص١٤٥) خفري بعد أن ذكر أن المفعول ليس له جوهر في نفسه، لها فقط معنى ربطي و حرفي، يوضح طبيعة المعلول بالنسبة للعلة على النحو التالي: «أنّ المعلول عندالمحققين يكون حيثية اعتبارية لعلّته التامّة فيكون الإيجاد عندهم عبارة عن صيرورة الوجود الحقيقي ذا ظاهر» (٥، ص١٥٢) ويقول أيضًا: «إن الخلق و الإيجاد هو عبارة عن صيرورة الوجود الحقيقي ذا حيثية انتزاع الماهيات الممكنة»(٥، ص١٥٣) وفي موضع آخر يعرف الخفري الخلق والإيجاد على هذا النحو، وأن الوجود الحقيقي له صفات مجردة و انتزاعية و ليست حقيقية، «هو صيرورة الوجود الحقيقي ذا حيثيات انتزاعية»(٥، ص١٥٢). ولمزيد من التوضيح يقول الخفري:.« الخلق و الإيجاد هو عبارة عن صيرورة الوجود الحقيقي متعينا بالتعينات الممكنة الاعتبارية»(٥، ص١٥٢) وهذا ما يعنيه خفري بأن الممكنات أو المعلولات يتعين بتعينات الإعتبارية، و أن المعلولات وجودها زائدة بالنسبة إلى وجود العلة «إن المراد بإعتبارية التقيدات كونها شيئا إضافية»(٣، ص٥٢)، ومن الواضح أن قصد محقق خفري من الإضافة هو ليست إضافة مقولية يتوقف تحققها على طرفين و تدخل تحت عنوان الماهية، ولكن ما يقصده هو إضافةالإشراقية، و التي يقتصر اتساقها على جانب واحد، وهو العلة وحده، إذا كانت العلة موجودة فهي أيضا المعلول، إذا لم تكن هناك علة، فإن المعلول منتفية أيضًا. ويحاول خفري التعبير عن هذا الأمر بعبارات مختلفة مفادها أن المعلول والممكن ليس لهما أولا و بالذات، ذات و وجود، بل الوجود أولا و بالذات وقبل كل شيء لذلك الوجود الحقيقي، و وجود المعلول يكون بإعتبار ذلك الذات المستقل والوجود الحقيقي. والآن بعد أن ثبت أن المعلول ليس له جوهر في ذاته و ليس له هوية مستقلة، فما عنوانه هنا، التعبير الذي يستخدمه خفري للمعلول هو الظلّ و الشأن و الطور.

أي أن خفري في المناقشات الأوليّة للأمور العامة يرى كلّ علة و معلول في مكانه، و لكن عندما يتعلّق الأمر بالموضوعات التوحيدية، فإنّه ينظر إلى العلّة والمعلول في علاقة وثيقة، بحيث يكون التأويل الذي يستخدمه للمعلول هو أنه مرتبط بالوجود الحقيقي، أو بمعنى آخر أن المعلول هو نفس الارتباط بوجود العلة. وفي المراحل التالية يذهب أبعد من ذلك ويعتبر المعلول ظلاً للوجود الحقيقي لأنه فالظل من ذاته ليس له استقلال، بل يرجع

كل فضله إلى وجود صاحب الظل «و الوجود الحقيقي الموجود بذاته وجود عيني لذاته فيكون جميع الموجودات الممكنه ظلّا لذلك الوجود الحقيقي الّذي هو عين لا ظلّ لشيء آخر»(٥، ص٢٣٧) فجميع الموجودات الممكنة هي بمثابة ظل للكائن الحقيقي، وهو هو نفسه، وليس الظل لأيّ شيء آخر. خفري يعتبر الوجود الحقيقي موجودا بحكم ذاته، و يعتبر جميع الممكنات والمخلوقات ظلالا وظلال لذلك الوجود الحقيقي، ويعتبر الوجود الحقيقي هو نفسه جميع الكائنات، لأن الوجود الحقيقي يشكل حقيقة الكائنات والممكنات. «وجود حقيقي موجود باعتبار ذاته و جميع الممكنات هو ظل له فالوجود الحقيقي عين لجميع الموجودات كما أنّه حقيقة لها»(٥، ص٢٣٧) "كما" في هذا اللفظ من الخفري تعطي معنى السببية، لا التشبيه (١، المجلد الأول، ص ١٧٦).

ويرى محقق الخفري أن الوجود الحقيقي هو نفس جميع الكائنات لأن الوجود الحقيقي يحتوي على حقيقة الكائنات. وهنا يضع السيد خفري موضوعية جميع الكائنات على الوجود الحقيقي، من حيث وضع الظاهر على المظهر أو الرقيقة على الحقيقة. يبدو أن تعبير خفري هذا هو تعبير آخر عن «بسيطة الحقيقة كلّ الأشياء»، إلا أن عبارة خفري تعبر عن المعنى بشكل أوضح. ونقل خفري أيضاً عن الفارابي: «إنّ الواجب كلُّه الوجود وهو كلُّ الوجود»(٦،ص٨٧) ومن هذا التعبير يُستنتج أن الوجود الواجب هو الوجود لجميع الممكنات وهذا التعبير للفارابي يعتبر أيضًا معنى هذه العبارة عند الباحثين الذين يقولون «إنّ الوجود الحقيقي عينُ الأشياء» (٦، ص٨٧) إن معنى كل هذه التعبيرات لا يمكن أن يكون سوى وحدة الوجود الشخصية، أي أن ما يملأ العالم حسب تفسير خفري هو الوجود الحقيقي، و بحسب تفسير الفارابي هو الوجود الواجب، وحسب تفسير الملا صدرا هو بسيط الحقيقة، ولما كان الوجود الحقيقي هو نفس جميع الكائنات، لأن الحقيقة تحتويهم جميعا، فإنه لا يترك للحقيقة مكانا سوى نفسها، وليس هذا إلا وحدة الوجود الشخصية أو التوحيد الحقيقي.

في البداية، بإثبات أصالة الوجود، نأى خفري بنفسه عن التشكيك العامي الذي يؤمن به أساتذته وآمن بتشكيك الخاصي للكائنات، ثم بإنكار استقلال الممكنات و وجودها الذاتي وفكرة أن الممكنات مرتبطة حقيقتا مع العلة الحقيقية، فهو يرى أن الممكنات وجود

ربطي و حرفي بالنسبة بوجود علة العلل، وأخيراً بإخراج الذات عن الممكنات، لا يعتبر إلا وجود الواجب حقيقيًا.

و يعتبر أنّ غير الواجب هو صفة و شأن لذلك الذات الواحد الحق. يقول خفري:. «إنّ الموجود بالحقيقة هو الرّب و أمّا المربوب فهو أمر نسبته إلى الرّب أضعف من نسبة الأعراض إلى موضوعاتها فتارة يعبّر عنه«بالشأن» قال الله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1]» (٥، ص١٤٦) ويعتبر خفري جميع الممكنات شئون لذلك الوجود الحقيقي، و لتوضيح الأمر يضرب مثال الإنسان و صفاته «لانّ جميع الممكنات شئون له مثلا الانسان إذا قام و ضحك و قعد و كتب فحقيقة القائم و الضاحك و القاعد و الكاتب انّما هو انسان و القيام و الضحك والقعود و الكتابة انّما هي آثار له، فهذا حكمُ الممكنات بالنسبة إلى الوجود الحقيقي» (٥، ص٢٣٧)

يقول الخفري في رسالته في مراتب الوجود:"فلا يوجد في مرتبة العلم والظاهر و الغيب والشهادة إلّا وجود الحق و الوجود المطلق الذي قد ظهر بالتعينات و التقيدات و الظهورات المختلفة، و هذه الكثرة موجودة منه، و هو ظاهر بهذه الكثرة، و الوحدة و الكثرة والإطلاق والتقييد من نسبه و اعتباراته التي لا وجود لها من حيث هي، و ظاهر بلا وجود (١١، ص٢٥٦) ومن أجل توضيح العلاقة بين وجود الحق والممكنات بشكل أكبر، يستخدم خفري مثال البحر و أمواجه أو نقطة الضوء المتحركة التي ترسم دائرة (٦، ص ٨٧) و بعد إثبات الوحدة يحاول خفري تبرير الكثرة ويستخدم هذه الآية القرآنية التي يقول الله تعالى عنها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾[2] ويعتبر السيد الخفري الظلّ هو التفسير القرآني للكثرة أو الخلق والممكنات ويقول: «فالرب هو الوجود الحقيقي الذي هو القيوم و المربوبون هم مظاهر ذلك الوجود التي تظهر و تنتزع عنه في التصور والاعتبار».(٥، ص١٤٧) يقول الخفري في ما يلي: «فالحق هو الوجود الحقيقي والخلق هو ظاهره و الظاهر و الباطن لاتغاير بينهما بالذات في الأعيان بل انّما يكون التغاير بينهما بالاعتبار و التعقّل»(٥، ص١٥٢) وفي النهاية يؤكد الخفري كلامه بهذه الآية الكريمة: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[3]»(٥، ص١٥٢) ويجمل الخفري حجته في وحدة الوجود الشخصية و يؤيده بقول أمير المؤمنين على عليه السلام الذي يقول: «مع كلّ شيء لابمقارنة

و غيركلّ شيء لابمزايلة»(٨،ص١١؛٤٠، ص٨٦) وأخيرا يقول الخفري: «تعدّد الذوات إنما نشأ من بداهة الوهم لامن العقل المتأمّل في أحوال الممكنات».(٣، ص:٥٢)

٣.٢. حجة الملاصدرا حول وحدة الوجود الشخصية من خلال تحليل العلاقة بين العلة و المعلول

فإنا إذا جردنا العلة عن كل ما لا يدخل في عليتها و تأثيرها أي كونها بما هي علة و مؤثرة و جردنا المعلول عن سائر ما لا يدخل في قوام معلوليتها ظهر لنا أن كل علة علة بذاتها و حقيقتها و كل معلول معلول بذاته و حقيقته فإذا كان هذا هكذا يتبين و يتحقق أن هذا المسمى بالمعلول ليست لحقيقته هوية مباينة لحقيقة علة المفيضة إياه حتى يكون للعقل أن يشير إلى هوية ذات المعلول مع قطع النظر عن هوية موجدها فيكون هويتان مستقلتان في التعقل إحداهما مفيضا و الآخر مفاضا إذ لو كان كذلك لزم أن يكون للمعلول ذات سوى معنى كونه معلولا لكونه متعقلا من غير تعقل علته و إضافته إليها و المعلول بما هو معلول لا يعقل إلا مضافا إلى العلة فانفسخ ما أصلناه من الضابط في كون الشيء علة و معلولا هذا خلف فإذن المعلول بالذات لا حقيقة له بهذا الاعتبار سوى كونه مضافا و لاحقا و لا معنى له غير كونه أثرا و تابعا من دون ذات تكون معروضة لهذه المعاني كما أن العلة المفيضة على الإطلاق إنما كونها أصلا و مبدأ و مصمودا إليه و ملحوقا به و متبوعا هو عين ذاته فإذا ثبت تناهي سلسلة الوجودات من العلل و المعلولات إلى ذات بسيطة الحقيقة النورية الوجودية متقدما عن شوب كثرة و نقصان و إمكان و قصور و خفاء بريء الذات عن تعلق بأمر زائد حال أو محل خارج أو داخل و ثبت أنه بذاته فياض و بحقيقته ساطع و بهويته منور للسماوات و الأرض و بوجوده منشأ لعالم الخلق و الأمر تبين و تحقق أن لجميع الموجودات أصلا واحدا أو سنخا فاردا هو الحقيقة و الباقي شئونه و هو الذات و غيره و أسماؤه و نعوته و هو الأصل و ما سواه أطواره و شئونه و هو الموجود و ما وراءه جهاته و حيثياته. (١١، ج٢، ص: ٢٩٩؛ ٢، ج٩، ص ٤٩٥؛١٣،ص٢٥٣)

وكما يتبين، فقد أثبت الملاصدرا وحدة الوجود الشخصية من خلال التحليل الحقيقي للعلاقة بين العلة والمعلول. وهو بالضبط نفس ما فعله محقق الخفري من قبله وهذه الحجة معروفة ومشهورة في الأوساط العلمية باسم الملاصدرا، إلا أن الملاصدرا نفسه لا يقول مثل هذا الادعاء.

يقول السيد الملا صدرا في كتاب "شرح الهداية الأثرية" أثناء الحديث عن وجوب الوجود: «و ما قال بعض الموحدين من المتألهين: من إن الوجود مع كونه نفس حقيقة الواجب قد انبسط على هياكل الموجودات بحيث لا يخلو عنه شيء من الأشياء بل هو حقيقتها، فقيل فيه: إنه طور وراء طور العقل.أقول: إني لأعلم من الفقراء من عنده إن فهم هذا المعنى من أطوار العقل، وقد أثبته و أقام البرهان عليه في بعض موارده من كتبه و رسائله وذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ واسعٌ عَلِيمٌ»(١٤، ص: ٣٤١)

يقول آية الله جوادي آملي في رحيق مختوم: نيةالملاصدرا من الشخص الذي أقام سببا لوجود الوحدة الشخصية هو الملاصدرا نفسه. (٢، ج ٩، ص٤٩٠).

وبحسب كون محقق خفري قد أثبت موضوع وحدة الوجود الشخصية قبل الملاصدرا بحوالي نصف قرن. ويمكن القول أن الملا صدرا ينوي من «بعض فقراء» محقق خفري الذين يدين له الملاصدرا من خلال معلميه. ولأن بعض مؤلفات محقق الخفري، مثل هامشه لشرح كتاب تجريدالإعتقاد الذي ذكر فيه هذه الحجة، هي في شكل مخطوطة و بعيدة عن متناول الباحثين، فقد وقع آية الله جوادي آملي في مثل هذا الخطأ.

ويقول محقق الخفري في كتابه سواد العين أن بعض الناس اعتبروا هذا الأمر (وحدة الوجود الشخصي) أمراً خارجاً عن العقل و يقول: «و أمّا حديث كون كلام الصوفية المذكور خارجاً عن طور العقل ففيه أنّه إنّما يصحّ إن لو كان المراد منه أنّه خارج عن طور مرتبة العقول الّتي هي لها في ادراك المعقولات باعتبار الانظار القاصرة و أمّا إن أريد أنّه خارج عن مرتبة إدراك العقل لم يخف فساده فإنّ العقل هو المدرك في جميع المراتب».(٦، ص٨٤).

٣. النتيجة:

كما هو واضح فإن السيد ملا صدرا تأثر بحكماء المدرسة الفارسية، ولا سيما محقق خفري، الذي ذكر أركاناً مثل أصالة الوجود و وحدة شخصية الوجود، واحتج عليها لكن بما أن حكمة المدرسة الفارسية كانت تقوم على التهميش والتعميم، وكان تأسيس الملا صدرا على تفصيل وتحرير العديد من الكتب، ولذلك فإن استقبال المثقفين بعد الملاصدرا لكتبه كان أكثر بكثير من كتب الحكماء أمثال محقق الخفري. وهذا هو السبب الذي جعل بعض الباحثين يخطئون في اعتبار الملاصدرا هو المفكّر الأول الذي قدم أصالة الوجود و

وحدة الوجود الشخصية بطريقة مدروسة في الفلسفة، ويعتقدون أنه هو مبتكر هذه الأفكار، في حين أن محقق خفري قد عبر عن هذه الأفكار في آثاره قبل الملاصدرا.

هوامش البحث

(١) الرحمن٢٩

(٢) الفرقان٤٥

(٣) الحديد(٥٧)٣.

قائمة المصادر

١) ابن هشام، عبد الله بن يوسف (١٤١٠هـ). مغني اللبيب قم، مكتبة آية الله العظمى مرعشي النجفي (ره) العامة.

٢). جوادي آملي، عبد الله (١٣٩٠). رحيق مختوم: شرح الحكمة المتعالية، بحث وتحرير: حميد بارسانيا، قم، مركز نشر إسرا.

٣) خفري، شمس الدين محمد بن أحمد (تسعمائة هجرية). هامش الشرح الجديد (شؤون عامة). مخطوطة رقم ٨٢٣ مكتبة گوهرشاد الشاملة.

٤). _____ (٢٠١٤م). رسالة مراتب الوجود. تحقيق: رضا پورجوادي، مجموعة «درد فلسفه درس فلسفه» الاحتفال للأستاذ كريم مجتهدي، طهران، منشورات كوير.

(٥). _____ (١٣٩٠ش). ست رسائل في اثبات واجب الوجود بالذات وفي الإلهيات. بحث وتعليق: د. فيروزه ساعت‌چيان، طهران، مكتبة ومتحف ومركز وثائق المجلس الإسلامي.

٦). _____ (١٣٩٢ش). سوادالعين في حكمة العين. هوامش على حكمة العين ميرك البخاري. تصحيح وتعليق وبحث: على فتحي. مشهد، معهد آستان قدس رضوي للطباعة والنشر (مؤسسة البحوث الإسلامية).

٧) السبحاني التبريزي، جعفر (١٣٨٢ش). هستى شناسى در مكتب صدرالمتألهين. قم، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، ط: ٢

٨). السبزواري، هادي بن مهدي (١٣٧٩ش). شرح المنظومة. طهران، ناب، نشر وتصحيح وتعليق: آية الله حسن زاده آملي وبحث وتقديم مسعود طالبي.

٩) شريعتي نجف آبادي، رحمة الله، (١٣٩٠ش). حكمت برين. قم، بوستان كتاب قم (منشورات مكتب الدعاية الإسلامية في حوزة قم العلمية)

١٠) كرامتي، محمد تقي، (١٣٨٤ش). تأثير مباني فلسفي در تفسير صدرالمتألهين. طهران، مؤسسة الصدرا للحكمة الإسلامية.

١١). الملا صدرا، صدر الدين محمد (١٩٨١م). الحكمة المتعالية فى الاسفار العقلية الاربعة. بيروت، دار أحيا التراث.

١٢) _____. (١٣٦٣ش). مشاعر. إلى عناية هنري كاربون، طهران، مكتبة طهوري.

١٣). _____ (١٣٦٠ش). الشواهد الربوبية فى المناهج السلوكية. مشهد، مركز الجامع للنشر.

١٤)._____(١٤٢٢ق). شرح الهداية الأثيرية. بيروت، مؤسسة التاريخ العربي.ط:١

١٥). المعلمي، حسن وآخرون (١٣٨٥ش). تاريخ الفلسفة الإسلامية. قم، منشورات المركز العالمي للعلوم الاسلاميه.